شعر

قطرة

في مخيلة البحر

حنانيك يا الشارع المرتبك

فغير الحبيبين

ما مر بك

خطانا الخجولات

أنفاسنا

تكاد من الوجد

أن تشتبك

زين العابدين الضبيبي

قطرة في مخيلة البحر

زين العابدين الضبيبي

حصريا على :
صفحة المكتبة التاريخية اليمنية
https://m.facebook.com/Yemeni.historical.library

المؤلف: زين العابدين الضبيبي.

عنوان الكتاب: قطرة في مخيلة البحر.

نوع العمل: شعر.

الناشر: المؤلف.

الطبعة الأولى: نوفمبر ٢٠١٣م.

الطبعة الثانية: يناير ٢٠١٤م.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٦٩٠) لسنة ٢٠١٣م.

المراجعة اللغوية

شهاب اليوسفي - عزيز الماوري.

تصميم الغلاف

نبيل القانص

الصف والإخراج الفني

هشام الأهدل.

قطرةٌ في مخيلة البحر

زين العابدين الضبيبي

"لمن"

- أمي، أبي، إخوتي، وأحبائي الشعراء.
- لها، فهي حلمي وحلم القصيدة.
- لمن أخذوا بيدي لأكون:

  - أحمد الأسودي ، مقبل نصر غالب

  - أحمد المعرسي ، أحمد أحمد غالب

- لمن قال لي: ضع هنا نقطةً، وهنا فاصلة.

"أصدقائي المحبة في ثوبها المكتمل "

- لمن كوّنوا البحر في داخلي قطرةً قطرةً.

هُمُ / هُنَّ / أنتم ...

سماوات هذي الحروف.

وإلى قارئٍ لم أفكرْ بِهِ.

زين

تقديم

د. عبد العزيز المقالح

زين العابدين الضبيبي صاحبُ هذا الديوان الشعريّ المتميز والمُدهِش، شاعرٌ شابٌ وموهوبٌ بكلِّ ما لِكَلِمَةِ "موهوب" من دلالاتٍ تجمعُ بين الإبداع والابتكار، بَدَأ كتابة الشعر وهو طالبٌ في الثانوية، وكنت قد فُوجِئتُ به - منذُ سَبع سنواتٍ تقريباً- في أحَدِ المهرجانات حتى لا يكادُ عنقهُ يرتقي إلى فمِ الميكرفون، وهو يقرأ شعراً بديعاً موزوناً مُحكماً ومُفعماً بالأخيلة، صورُهُ ومُفرداتُهُ لا تمُتُّ إلى قاموسِ التقليديين بِصِلة.

ومُنذ ذلك الحِين وأنا أتابع ارتحالاتِهِ الصاعدةَ نَحو عالمِ الشعر كما يَنبغي أن يكون في سرعة الضوء وكأنه يمتطي مركبةً صاروخيةً تقودُهُ نَحو الهَدَفِ الذي يتمثل بشعرٍ يشع حيويةً وأصالةً وحداثة.

وها هو ذا بديوانهِ الذي بين أيدينا يتحدّى نفسَهُ ويُناطِحُ الكِبار، ولا يَقبل إلاَّ أن يكون في الصفوفِ الأولى مُعتمداً على مَوهبتهِ وحدَهَا

وعلى مَقدرتِهِ في تجَاوُزِ نفسه؛ يكتب القصيدةَ العموديةَ بامتياز، وقصيدةَ التفعيلة بامتياز، كما يكتبُ قصائدَ العَامّة بامتياز أيضاً، ويسعى إلى كتابةِ قصيدةِ النثرِ في تَرَدُّدٍ خَجُولٍ نظراً لتمكنهِ الشديدِ مِن كنوزِ الأوزان.

قلبٌ تهادى على كفِّ المَدى ومشى
وعانق الحُلْمَ مَسروراً ومُنتعِشا
الضوءُ يمنحُهُ في كلِّ شاردةٍ
مِنْ واحةِ العِشْقِ ما يُبقِيْهِ مندهشا
يا للمساءِ... ربيعٌ حين ضَمّهما
وبدَّد الصمت والأحزان والغَبَشا
بألفِ حُلمٍ وحلمٍ لا انتهاء لها
ولا يفسِّرُها مَنْ خَطَّ أو خَدَشا
كَمْ كوكبٍ شعَّ مِنْ عينيهما طرباً
وتاهَ في مَلَكُوتِ الحُسن وارتَعشا

دقـائقٌ ..؟ ألـفُ عـامٍ ..؟! كيـفَ يَحْـسبها

مَـــن ودّ لـــو أنـــه أنفاســـها افترشـــا؟

أزعُمُ أنّ قافيةَ "الشين" لم تكن سهلةً وعذبةً كما هي هنا في هذه القـصيدة التـي كتبهـا الـشاعر زيـن العابـدين بحـبرٍ مُـستقى مِـن ذَوْبِ وِجدانِهِ، كما أنّ القارئَ وهو يقرأُ هذا الشعرَ البَدِيعَ الباذِخَ لا يَشعرُ بأيِّ قدرٍ مِن الكَدّ في توليدِ الصور والاستعاراتِ وكأنها تأتي إلى الشاعرِ طَوَاعِيَةً مِن فضاءٍ مُحتَشدٍ بالرائعِ والمُثير مِنها، سَوَاء حين يحلِّق في سماوات قصائدِ الشطرين أو سماواتِ قصيدةِ التفعيلة:

كنْ شاعراً

يسهرُ الكونُ في صورةٍ أنتَ أبدعتَهَا

ثمَّ نم ملءَ جفنَيكَ

إنَّ المدى ساهرٌ عنك

والكائناتُ تُخاصمُ تفكيرها فيك،

- تبحثُ في كونِ معناكَ عن نفسِهَا،

وتطيلُ التأمّلَ

تفتحُ نافذةً للسؤالِ

وتغلقها بسؤال جديد.

هذا التَّجَاوُرُ الحَميمُ بين الأشكال الشعرية يثبت حقيقة أنَّ هذا الجيل مِن الشعراء الشبان لم يعودوا مَعْنِيّينَ - على الإطلاق- بالخلافاتِ التي سادَت بين الأجيال السابقة وتمثّلت في التعصُّبِ المَقيتِ لِشكلٍ شعريٍّ دونَ آخر؛ وهو ما أدّى إلى إهدار الكثير من الطاقاتِ وأوْغَرَ صُدورَ عَددٍ من المبدعين الذين انصرفوا عن الشعر إلى تَبَنّي مَعارك الخصومةِ المَوهومةِ بين القديمِ والجديد، ونَسَوْا أو تَنَاسَوْا أنَّ الشعرَ الحقيقيَّ هو الشعرُ في أيِّ شكلٍ كان، وعلى أيِّ أسلوبٍ تَشَكّل وسوفَ يُحسَب لهذا الجيلِ الشابِّ أنه نَأَى بنفسهِ عن مُتابعةِ تلك الخصوماتِ وانطلَقَ لتأسيسِ مَشروعِهِ الشعريِّ على بَصيرةٍ مِن استلهامِ التراثِ والاستفادَةِ من المتغيّر الحَدَاثِي المُعَبِّرِ عن روح التجربة المعاصرة.

ومع أن الشاعر زين العابدين الضبيبي ما يزال في رَيعان الشباب، ولا مدى لِما تَعِدُ به السنواتُ القادمةُ مِن تألقٍ ووعودٍ؛ إلاّ أننا نلمس في ثنايا بعض قصائده شعوراً طاغياً بالألم وإحساساً حاداً بالإحباط، وفي بعض العبارات ما يَشِي بالوَجَع ويَكشفُ عن مَرَارة الواقعِ وانعكاساتِهِ السلبيةِ على كثيرٍ من المُبدعينَ الشبان الذين يَشعرُون أنهم باتُوا جزءاً من الفئةِ المُهَمَّشَةِ والمُقصاة، وأنْ لا أحَدَ هنا يُقدّر أهميةَ المَوَاهِبِ التي يَمتَلِكُونهَا.

وعلى زين – وهو الآنَ طالبٌ في قِسم اللغةِ العربيّة بكليةِ الآداب– أنْ يُدرِكَ أنَّ طريقَ المُبدِعِينَ الحَقيقيينَ لمَ تَكُن دائماً مَفروشةً بالوُرُودِ بل بالأشواكِ والمَسَامير. وكَمَا تَفَوّق في الشعر، عليه أن يَتَفوَّقَ فِي المَجَال العِلمي ويجتاز طريقهُ الرّاهن بقدرٍ عالٍ من الطموح المشروع والثقةِ بالنفس، ويُحاول تجَاوُز اللحظة التعيسة والتزام الصمود في وجهِ الرّيح التي تَعصِفُ بوجدانِهِ الشفّاف الطري:

غُربـــةٌ في دمـــي وللجـــوعِ صـــوتٌ

في الحنايـــا أضـــاع فِكـــري وَحِـــسّي

باعـــــت الـــــريحُ للمنايـــــا حيـــــاتي

ذاتَ فَقـــدٍ فقـــايضَ الـــبخسُ بَخـــسي

وإذا بِي كتـــــاجرِ الـــــوهمِ أَمـــــضي

يقتفينـــي «دَبُـــورُ» عُمـــري وَنَحـــسي

أســـأل الـــنفس حـــين آوي إليهـــا

كيـفَ أصـبحتُ يـا تُـرى؟ كيـفَ أمـسي؟

كُـــلُّ فَجـــرٍ يلـــوحُ أهفـــو إليـــهِ

أســأُلُ الــشمسَ عــن مغــاراتِ شمــسي

قد يجَدْ البَعض في هذا الصوتِ الحَزين حالةً من التأثر بالمنَاخِ الشعري الرّومانسي، بينما هو في حَقيقةِ الأمرِ تَعبيرٌ واضحٌ وصَريحٌ عن واقِعيّةِ الواقعِ بكلِّ انكسارَاتِهِ وضُغُوطِهِ على النفسِ الشاعِرة وما تُعانِيهِ مِن قلقٍ وفقدانٍ لأبسطِ مُقوِّماتِ الحياة الإنسانية، وتجَسيدٌ لمِا يُواجهُهُ الشباب المُبدِع مِن إهمالٍ وتجاهل. ومع كل ذلك فكم أثار إعجابي صوتٌ آخر تعبر فيه الإرادةُ الطامحةُ والمحلّقة عن ذاتِها وعن وجودِها الفاعل:

مـــا دامـــت الـــدنيا تنـــامُ براحتـــي

والـــصبحُ والأحـــلامُ مـــن أغـــراضي

لـــن تـــستطيعَ - وقـــد خرجـــتُ- تحمُّـــلي

-مهـــما فعلـــتَ معـــي- ولا إجهـــاضي

إنّ المَوَاهِبَ أَمَانةٌ في أعناقِ الشعوب، كَمَا هيَ أمانةٌ في أعناق من يَحكُمُونَ هذه الشعوب. وشعوبٌ وأنظمةٌ لا تُقدّر المَوهوبينَ مِن أبنائِها لَن تَتَقَدَّم قَيدَ أنملةٍ مهما بَذَلت مِن جُهودٍ ومحُاولاتٍ على طَريق التغيير، ذلك لأنّ الموهوبين في شتّى المجالاتِ هُم روّاد التقدم والتغيير، ونجاحهم في أن يكونوا رواداً لن يتحققَ إلاّ عَن طريقِ التقدير والتشجيعِ وإحاطتِهِم منذُ بدايةِ ظهورهِم بالرعاية والعنايةِ الخاصةِ حتى لا تَذبُلَ مَوَاهِبهُم وتعبث بها رياحُ الواقِعِ الفاسدِ والمُتخلِّف وضُغوط الحاجة، وغياب مُتطلباتِ الحَدِّ الأدنَى مِن العيش الكريم.

كلية الآداب – جامعة صنعاء

في ٩/ ١٠/ ٢٠١٣م

حروبٌ مؤجلة

عَرَبَــاتُ عُمــركَ مِثــلُ رُوحِــكَ مثقلــةْ

وضــفائرُ الأحــزانِ حولــكَ مُــسدلةْ

والليــلُ والحلــمُ القــديمُ وشــاعرٌ

أَلْقَــوا عليــكَ بحزمــةٍ مــن أســئلةْ

ومــساؤك المــشبوبُ مــن حــسراتهِ

في صــمتهِ الــذاوي يعــانقُ قنبلــةْ

تمــضي وتخــذلكَ الجهــاتُ كــأنما

صــارتْ طريقــكَ للــسماء معطلــةْ

جبريــلُ يغزِلُــها ويــنقضُ غزلهــا

فأَصِــخْ لتــسمعَ في الفــضاءِ الجَلْجَلــةْ

واخـــصِفْ تجاعيـــدَ الظنـــونِ بحكمـــةٍ

لِتَخِـــيطَ مِـــن تيـــهِ الحقيقـــةِ أَعْقَلَـــهْ

هـــــذا زمانـــــكَ عـــــالقٌ في جُرحِـــــهِ

يمـــــضي فيُوقِعـــــهُ لهُـــــاثُ الهَرولـــــةْ

والقـــومُ إن بلغـــوا الأخـــيرَ مـــن الأســـى

وَجَـــــدوا مَـــــواجعَهم لَديـــــهِ مؤوَّلـــــةْ

هـــــذي رؤاكَ تَكَـــــشّفتْ أضـــــواؤها

وبوجههـــــا كـــــلُّ الحقـــــائقِ مقفلـــــةْ

هـــي في خيـــالِ البحـــرِ كانـــتْ قطـــرةً

بعيـــــونِ ســـــيِّدةِ الزمـــــانِ الأرملـــــةْ

فاصـــدعْ تـــرَ الـــدنيا تـــواري ضـــعفَها

وإذا أتـــاكَ المـــوتُ قـــلْ: مـــا أجملـــهْ!

فـــالعمرُ مـــا بينـــي وبينـــكَ لحظـــةٌ

هـــي قيـــدُ أمنيـــةٍ وصرخـــةُ أنملـــةْ

تتلفـــــتُ الأحـــــزانُ في أعماقِنـــــا

وبكفِّنـــا تُطـــوَى جـــراحُ الأخيلـــةْ

كـــلُّ الحـــروبِ خَرَجْـــتَ مِنهـــا ســـالماً

إلا التـــي كانـــتْ لـــديكَ مُؤَجَّلَـــةْ!

جهةُ الـجُـنُون

رؤيـــاك في كَـــونِ الحَنـــينِ مُـــحَلِّقَةْ

وأنـــاكَ في الحـــبِّ البَنَفـــسَج مُغرَقَـــةْ

قالـــت: أُحبُّـــكَ مُنـــذُ سِـــتِّ قَـــصَائدٍ

فـــإذا القـــصائدُ بالتَّوَلُّـــهِ مُورِقَـــةْ

ومَـــضَت فَأجفَلَـــتِ الـــسّماءُ كـــأنَّمَا

هـــي قَلبُـــكَ المَـــشدُوهُ ضَـــيَّعَ أزرَقَـــهْ

-أَنَـسِيتَ ضِـحكَتَهَا؟- نَـسِيتُ جَـوَارِحِي

جَـــذْلَى لِبَـــسمَتِهَا العَبَـــيرِ مُـــصَدِّقَةْ

.....

.....

وكَـــسَارِقٍ للنَّـــارِ صَـــادفَ قُبلَـــةً

كَـــادَت لِدَهـــشَتِهِ بهَـــا أنْ تُـــحْرِقَهْ

يــا حُــبُّ يــا رُوحَ الوجُــودِ، أمَــا تَــرَى

رُوحــــاً بنَاصِـــيَةِ اللّقـــاءِ مُعَلَّقَـــةْ؟!

قلـــــقٌ بـــــدَاخِلِها يَمُـــــدُّ جِهَاتـــــه

والـــــشَّوقُ يَنثُرُهـــــا بكُـــــلِّ الأرْوقَـــةْ

وهُنَـــاكَ مِـــن جِهَـــةِ الجُنُـــونِ مُـــسَافِرٌ

يَعـــــدُو فَيَنـــــسَى ظِلُّـــــهُ أنْ يَلحَقَـــــهْ

بيَدَيـــــهِ آخِـــــرُ بَاقَـــــةٍ مِـــــن قَلبِـــــهِ

ومَـدىً مِـن الحُـبِّ الـذي كَـم مَوْسَـقَهْ

لَكَـــــأنَّمَا اختَلَـــــقَ الغِيـــــابُ حِكَايَـــــةً

لِنَـــــرَى بـــــأنَّ الحُـــــبَّ ذَاتٌ مُطلَقَـــــةْ

وَلَـــــهٌ هـــــيَ الـــــساعاتُ، كُـــــلُّ دَقِيقـــــةٍ

هرعَـــــت بـــــما ادَّخَرَتْـــــهُ حتـــــى تُنفِقَـــــهْ

والحـــبُّ عـــصفورٌ بكـــفِّ ســـحابةٍ

هـــي كـــالّتي ضَـــمَّتْهُ حتـــى تُطلِقَـــهْ

مـــا ثَـــمَّ مُتَّـــسَعٌ لِوَقـــتٍ ضَـــائعٍ

يَكفِـــي الـــذي اجـــتَرَحَ الزمـــانُ وأهْرَقَـــهْ

قَفَـــزَا عَـــلى رُغـــمِ المُحَـــالِ فَفُتِّحَـــتْ

لهُـــمَا الـــدُّرُوبُ المُوحِـــشَاتُ الـــضَّيّقَهْ

هِـــيَ ذِي تَفُـــوحُ الآنَ مِـــن صَـــلَوَاتِهِ

لُغَـــةً مجُنِّحَـــةً ورُوحَـــاً مُـــشرِقَهْ

وتَـــضُمُّهُ حتـــى تَكَـــاد لَـــوَ انَّهَـــا

مِـــن فَـــرْطِ مـــا امـــتَلأت بـــه أنْ تَـــخلُقَهْ

وأحِـــسُّهُ يَنـــسَابُ في أنفاسِـــهَا

مَعنَـــىً رَبيعيـــاً يؤلِّـــفُ زَنبَقَـــهْ

مُتَـــزَمِّلاً بالوَجـــدِ يُقرئـــهُ الهَـــوَى

مِـــن حُبِّهـــا مَـــا شَـــاءَ حتـــى يُغدِقَـــهْ

يَتَعَانَقَـــــان –الآنَ- بَيـــــت قـــــصِيدةٍ

اللهُ دَوَّرَ بَحرَهـــــا كـــــي يُنطِقَـــــهْ

طَـــارَا بأجنِحَـــةِ المَلائِـــكِ بَعـــدَمَا

أدمَـــى الوِصَـــالُ فَـــمَ الـــشتاتِ وأغلَقَـــهْ

حُبٌّ

على حُبٍّ

فَسُبحانَ الذي

خَلَقَ الوُجُودَ

وبالمَحَبَّةِ طَوَّقَهْ

خاصرة الوقت

متى سوف نصحو

لندرِكَ أنَ الدقيقةَ خاصرةُ الوقتِ

في مسرحِ الأبديةِ

وأن الأماني حبالٌ معلقةٌ

في جدارِ الصدى؟

متى سوف ندركُ أن الثوانيَ

هُنَّ النساءُ المملاتُ

إن لم يعانقنَ عشاقَهُنَّ

عرايا من الخوفِ

فوقَ سريرِ الجنون؟

متى؟

كيف؟

أين؟

أنا

.....

.....

لستُ أدري

ولكنني أنظرُ الآن في ساعتي

وأفكرُ في موعدٍ

كنتُ أرجأتُه قبلَ حينٍ

مع امرأةٍ صَحَّرَ الانتظارُ

جوارحها،

أُطفئَ البرقُ في فمِها،

والغيومُ التي هيأتها

مُحاوِلةً أن يعيشَ الربيع

الذي ادخرته لموعدنا المنتظرْ

ففاجأها حينَ مات،

وجددتُ أحزانها

حين قلتُ: أراكِ غداً،

وهي تدركُ

أن

غداً

لن يجيء ...

.....

.....

عطرها الباص

في المساء الحزينِ السَّعيدِ

صَعدْتُ إلى الباصِ

في صُحبَتي خَيبةُ الانتظار وحُمَّى الزحامِ

وشيءٌ من المَلَلِ الاعتياديِّ

مِن كِبرياءِ المَقَاعِدِ

مِن عادَةِ الباص في الليلِ

يَنفِضُ (تخَدِيرَةَ القاتِ) في كلِّ مُنعطفٍ؛

مِن حديثِ السياسةِ

مِن سَائقِ الباصِ وهو يُردّدُ

(باقيْ نَفَرْ بَسْ)

مِن وَقفَةِ (البايص) فِي (الجَولةِ) الآنَ

لا شيءَ يؤنِسُني

فِي الطريقِ القَصِير الطويل إلى غُرفَتِي

شَاردَ الذهنِ،

كُنتُ أفكِّرُ

حَتى مَتَى سَيَمِيلُ بيَ الوقتُ؟

كَم لحظةٍ سَوفَ يَذرِفُهَا

بانتظارِ (الزَّبُونِ الأَخِيرِ) بلا فائدةْ؟

.....

.....

شاردَ الذهنِ ما زلتُ

بَاغَتَنِي عِطرُها، فَتَشَاغَلْتُ،

قلتُ: هُو الوَهْمُ رَاوَدَنِي

كَي يُخفِّفَ عَنِّيَ عِبءَ الطريقِ الطويلِ،

تَشَاغَلْتُ عنها وعنهُ

و لكنَّهُ أجَّجَ الشوقَ في داخِلي

حِين حَرَّكَنِي مِن جَنوبِ الظُّنونِ لِشرقِ الجُنونِ

تُرى .. عِطرُها ما يكونْ؟

تَلَفَّتُّ لَستُ الوَحيدَ الذي يَتَسَاءَلُ

أو يَتَمَايلُ حَيثُ يَميلُ بهِ العِطرُ

إنَّ المَقَاعِدَ – والناسَ –

سَابحةٌ في الذهولْ.

الجَميعُ يَميل به العطرُ

إنْ مالَ رأسُ المليحةِ

ذاتِ الجمالِ وذاتِ الدلالْ.

تَنَفّسْتُ،

لمَ أكتَرِثْ لِلمقاعدِ والناس،

قلتُ: هو العِطرُ نافذةٌ للقصيدةِ

بوَّابةٌ لِلخيال،

تجَاهَلتُهُم، واقتربْتُ قليلاً

تَمنَّيتُ أنَّ الطريقَ يطولُ

وأنَّ المسافةَ تمضِي

إلى اللَّا نهاية في الوقتِ

ما ثمَّ من حاجةٍ للوصولْ.

تمنيتُ أنْ يستديرَ بنا (الباصُ)

مِن نقطةِ الصفرِ ثم يعودُ إليها

وأنَّ المساءَ كأحلامِنا لا يزولْ.

تمنيتُ أنْ أتحَكَّمَ بالوقتِ

أنْ أجعلَ الليلَ - هذا الذي نحنُ فيه-

زماناً لكلِّ الزمانِ وكلِّ الفصولْ.

وحينَ شَعَرْتُ بأني اقتربتُ من العطرِ،

منها،

تجاوزتُ حَدّ الفُضُولْ.

قلتُ:

..ماذا أقول؟

المليحةُ سمراءُ والعطرُ أبيضْ

المليحةُ بيضاءُ والعطرُ أسمرْ

المليحةُ عطرٌ

وعطرُ المَليحةِ لونٌ

ولونُ المليحةِ عطرٌ

تَدَاخَلَتِ الكائناتُ بعَينيَّ

فاجَأني عِطرُها (الباص)،

(عِنْدَكْ عَلى جَنْبْ)

نَزَلَتْ ..

نَزَلَ العِطرُ

.....

وَحدِي بَقِيتُ على (الباص)

أدركتُ أني أضعْتُ الطريقَ

ورُحْتُ أفتِّشُ عن وِجهتي، وأقولْ:

ليس عطراً ..

وليست هي امرأةً،

إنها....، إنها كائنٌ من بُخُورْ.

أدنى من الحلم

يــا مَــن تَلُومُــونَ قلبــي حِــينَ يُختَطَــفُ
إنَّ الجَـــمَالَ عـــلى أهـــدابِها يَقِـــفُ
قــلْ: طِفلــةُ المــاءِ صَلَّــى البحــرُ في يَــدِها
وجَــاءتِ الــشّمسُ بالمرجــانِ تلتحــفُ
ويَـــسْألونك عَنْهـــا قُـــلْ: مُـــصادفةٌ
قَـــدْ قَـــدَّرَ اللهُ، ألقاهـــا ونـــأتلفُ
المَــوجُ يُــصغِي لنــا والبحــرُ مُــضطربٌ
و«عــشةُ» الحلــمِ قَــصْرٌ مالــهُ طَــرفُ
أدنَــى مِــن الحُلــمِ .. أشــهى مــن حقيقتــهِ
مــا أبعــدَ الحلــمَ عنــي حِــينَ أقتطِــفُ

– من تلك؟

– تلك التي آنستُها قمراً

على محياهُ

موّالان ..، تَرتَجِفُ

تلمُّني في أغانيها

وتشُرُني

وتحتويني

إذا ما جِئْتُها

«رَهَفُ»

وإن كُنتَ أنتَ

لا تُصدِّق وَصَاياَ

أشعِل سيجارتَك الآنَ

كَم شمعةٍ

دثّرتْ قلبها

بالرمادِ المُكدّسِ مِن عُمرِها

فَوقَ رَفِّ الحياةِ

لِتَبدَأ رِحلَتَها الأزليّةَ

ما بين حُلمٍ يُراوِدُها مِن بعيدٍ

وحلمٍ تسلّقتِ النارُ جُدرانَهُ

خِلسةً فِي ليالي الشتاء.

لا تُصَدِّقْ وَصَايايَ

وابدأ لأجلكَ فَصلاً جَدِيداً بدُوني

وكنْ كافِراً بالوَصَايا، وبي،

بالمَدَى

كنْ كَمَا تَشتَهِي أنتَ:

رَبَّ المَجانِينِ

عِطرَ الميادينِ

أنشودةً في فمِ الريحِ

ليست تفكرُ في أيِّ أرضٍ تموت.

وكنْ شاعراً

يسهرُ الكونُ في صورةٍ أنتَ أبدعتَهَا

ثمَّ نم ملءَ جفنَيكَ

إنَّ المدى ساهرٌ عنكَ

والكائِناتُ تُخَاصِمُ تفكيرها فيكَ،

وتبحثُ في كونِ معناكَ عن نفسِهَا،

وتطيلُ التأمّلَ

تفتحُ نافذةً للسؤالِ

وتُغلِقهَا بسؤالٍ جديدٍ

إلى أن يَفِيضَ بكَ الصُّبحُ

والشمسُ تلقي عليكَ السلام.

.....

... وإن كنت أنتَ،

فَمَعنَاكَ في آخرِ الوجدِ

سافرْ إليه،

وكنْ

آخَرَاً يَشتَهِي أن يَكونْ.

فصلٌ محايد

صــديقي وللأحــزانِ في القلــبِ مَوســمٌ

ولي في شِــتاءِ العِــشقِ قلــبٌ تحَجَّــرا

صُــلِبتُ عــلى جــذعِ المــآسي، وَخَــافِقِي

يَلُــوكُ غبــارَ الــصمتِ، يقتاتُــهُ الــسُّرى

أطــيرُ إلى مــنْ؟ كلــما رمــتُ نجمــةً

تجاوزتهــا شــوقاً ومــا اجتــازتِ الثــرى

وأهفــو إليهــا كُلَّــمَا جئــتُ ظامئــاً

يلــوِّحُ ظِــلُّ المــاءِ مــن شُرفــةِ العَــرَا

ومــنْ نجمــةٍ غابــتْ إلى نجمــةٍ بــدتْ

أُجَــدِّفُ بــالأَحلامِ والمــوجُ لا يَــرَى

عــلى زورقِ العــشاقِ كــم طُفــتُ بــالمنى

فعُــدتُ عــلى الأحــداقِ دمعــاً مُعفَّــرا

أنــا في فــصولِ العــشقِ فــصلٌ محايــدٌ

حــوى الــبرْدَ والحُمَّــى جــديباً ومُزهــرا

وبي مـن جنـونِ الـريحِ مـا يُعـشِبُ الحـصى

ويجعــلُ ملــحَ البحــرِ ينــداحُ سُــكَّرا

أنــا والهــوى رُوحــانِ نــايٌ وشــاعرٌ

مُزِجنــا بكــفِّ اللهِ مــن دَهــشةِ القُــرى

صــديقي، لمــاذا كلــما قلــتُ: جنــةٌ

سَقطتَ بحضنِ النارِ ..؟ ما السرُّ يَا تُرى؟!

مَــسَالِكُ عُمــري -يَــا صَــديقي- عقيمــةٌ

إذا اجتــزتُ شــبراً عــدتُ عمــراً إِلى الــورا

أُجــرِّرُ أوجــاعي وأغتــالُ أَدمعــي

وأغــرسُ في قلــبِ الــصعوباتِ خِنجَــرا

في كتاب الغيب

قلـبٌ تهـادى عـلى كـفِّ المَـدى ومـشى

وعـــانَقَ الحُلْـــمَ مَـــسرُوراً ومُنتعِـــشا

الـــضوءُ يَمنحُـــهُ في كـــلِّ شـــاردةٍ

مِـــنْ واحـــةِ العِـــشْقِ مـــا يُبقِيْـــهِ مندهـــشا

يـــا للمـــساءِ... ربيـــعٌ حـــين ضَـــمّهما

وبـــدَّد الـــصمتَ والأحـــزانَ والغَبَـــشا

بـــألفِ حُلـــمٍ وحلـــمٍ لا انتهـــاء لهـــا

ولا يفـــسِّرُها مَـــنْ خَـــطّ أو خَدَشـــا

كَـــمْ كوكـــبٍ شـــعَّ مِـــنْ عينـــيهما طربـــاً

وتـــاهَ في مَلَكُـــوتِ الحُـــسن وارتَعـــشا

دقـائقٌ ..؟ ألـفُ عـامٍ ..؟! كيـفَ يَحْـسبها

مَـــن ودّ لـــو أنـــه أنفاسَـــهَا افتَرَشـــا؟

الــشمسُ والبــدرُ وَحــيٌ ضَــمّ قافيــةً

غَنَّــى بهــا شــاعرٌ في الغيــب واعتَرَشــا

زُجاجَــةٌ حــولَ مــصباحٍ وزيــتُهما

مــا فــيهما مــن حنــينٍ للــضّلوعِ غــشى

مِــنْ قَبْــلِ أن يُــخْلَقا، والعِــشقُ في قلــقٍ

لموعــدٍ في كتــاب الغيــب قــد نُقِــشَا

حتــى أطــلّا .. فــصارَ الكــونُ مَملكــةً

عِطريــةً وردُهــا بالحُــبِّ قَــد "فَتَــشا"

ذاقــا الهــوى في تلظِّيــهِ ونَــشْوتِهِ

ظبــيٌ شريــدٌ هَــدَاهُ قلبُــهُ لِرَشــا

في رحلــةِ الــشَّوقِ أســوارٌ مكهربــةٌ

وحــاجزٌ تحتــهُ كَنــزٌ لِــمَنْ نَبــشا

قاب جُرحَين

قـــابَ جُـــرحَينِ مِـــن هَـــوَاهُ وأدْنَـــى
مَزَّقَتنِـــي قـــصَائدُ الـــشوقِ حُزْنَـــا
في مَهـــبِّ الـــسرابِ لِلـــوَهمِ نـــايٌ
يَتَغنَّـــى، و لَيتَـــهُ مـــا تَغَنّـــى
ظـــلَّ قلبـــي إليـــهِ يُـــصغِي زَمَانـــاً
مِـــن ضَـــيَاعٍ، وهُدهـــدُ الـــرُّوح مُـــضنَى
سَـــافَرَت بي ريـــاحُ وَعـــدٍ إليـــهِ
وإلى الـــريحِ لم أكـــنْ مطمئنّـــا
كلـــما جئـــتُ مُثخنـــاً بالأمـــاني
عـــن مَعَانِيـــهِ بالكنايـــاتِ كنّـــى
كـــم تمَنّيـــتُ لـــو أُلاقِيـــهِ صَـــباً
ولمِـــثلي مِـــن الأسَـــى مـــا تَـــمَنَّى

قِـــشةً صِرتُ فِي فـــضاءِ انكـــساري

مِـــن دُمُـــوعي أقـــلَّ حَجـــماً ووَزنـــا

يـــا مَرايـــا تَـــسَاقطَ البَـــوحُ سَـــهواً

ومِـــن البَـــوحِ كَـــم يَمـــوتُ المُعنّـــى

كيـــفَ أشـــدُو ولحَـــنُ روحـــي جـــريحٌ

والمـــــسافاتُ مُتعَبـــاتٌ ووَســـنى؟!

رحلتـــي غُربـــةٌ عـــلى غـــير أرضٍ

كـــلُّ فـــانٍ يـــسير بي نحـــو أفنـــى

رحلـــةُ الجـــرحِ وسّـــعتْ مـــن مـــداها

لا احتـــواني النـــدى ولا صرت غـــصنا

أيهـــا النَّـــاي لا تغـــنِّ لقلبـــي

دَعْـــهُ يَغفُـــو شَـــبِعتُ يـــا نَـــايُ مَغْنَـــى

حين خَبَّأتُها فَضَحتْني

القصيدةُ كانت تعيشُ معي

داهمَتنِي على غَفلةٍ

قالتْ: اكتبْ!!

كَتَبتُ مُعلّقةً للحياةِ

فعادَ الصدى

اكتبِ الآنَ....!!

ما زلتُ في أولِ السطرِ، في أولِ البوحِ

معنىً وقافيةً فوقَ غصنِ الزمنْ.

* * *

القصيدةُ عاشتْ مخبأةً في ظنوني

وواضحةً في عيوني.

حين خَبَّأتُهَا فَضَحَتني

وسَارتْ إلى الناسِ

في ثوبِهَا الغَجَريِّ بدُوني

وإن أقبلتْ فوقَ خيلِ المجازِ

أفرُّ إلى لغَتي

لا أقولُ لها

دثِّريني.

* * *

القصيدةُ أنثى تُراودُني

تَتَسلّلُ

تُحكِمُ قبضَتَهَا في الجهاتِ

وترفعُ صاريةً في جبيني.

* * *

القصيدةُ شيءٌ -بلا صِفةٍ-

غامِضٌ كالرؤى،

قلقٌ عابرٌ يَعتريني.

❊ ❊ ❊

القصيدةُ صَامِتةٌ كالجبالِ

ومجنونةٌ كالخيالِ

ومعشوقةٌ كالمحالِ

وصافيةٌ كالجمالِ

وواسعةٌ كالحياةِ

وحاضرةٌ في شؤوني.

وللحرفِ حرفُ القصيدةِ

رحلتهُ بين كافٍ ونونِ.

القصيدةُ تعرفُ عشَّاقَهَا واحداً واحداً

كلما عَبَرَتْ مِن دَمِي

لمِياهِ أحاسيسِهِم

يشغلونَ بها

ثمَّ

.....

.....

لم يَذكُرُونِي.

أولُ معشوقةٍ للمطر

إلى الدكتور/ عبد العزيز المقالح

هي سُجَّادَةُ الغيمِ

مَبسوطةٌ للمُصَلّينَ في مَلكُوتِ الجَمَالِ

ولِلصاعِدينَ على ((سُلَّمِ الضّوءِ))

نحوَ جبينِ الحياةِ

على صوتِ (أَيّوبَ)

تصحُو العصافيرُ

وهي تُردِّدُ لحنَ الحقولِ

ليستيقظَ العشبُ مبتسماً

للصباحِ الذي جاءَ يُلقيْ عليهِ السلامَ

ويقطعُ تأشيرةً للسفرْ.

ومن شُرُفاتِ المنازلِ

وهي معطّرةٌ بالندى

تَتَصَاعَدُ رائِحةُ السّمْنِ

واللّبَنِ الْبَلَدِيّ

تُرَاوِدُ كلَّ القلوبِ

التي هدّها الشوقُ والانتظارُ إلى الزرعْ،

الراعياتِ، لـ قطعانها

(الشريمُ) إلى عُشبةٍ

كان بالأمسِ عاهَدَهَا أنْ يَعُودْ.

وفَوقَ سُقوفِ المَنَازلِ

جهّزتِ الأمهاتُ

طعامَ العصافيرِ منذُ البكورِ

فصارتْ تحُطُّ

وتأكلُ ما تشتهي،

كلُّ بَيتٍ على سقفهِ

ألفُ سنبلةٍ

من عبيرٍ ونورْ.

على الرُّغْمِ من حُزنها

وتَعثُّرِ أحلامِها

وتفرُّقِ أبنائِها

فهيَ تفتحُ أبوابَها

وشبابيكَ بَسمَتِها

ثم تَلبسُ فُستَانَها الجَبَليَّ

المُطَرَّزَ بالأغنياتِ اللذيذةِ

تصنعُ (مَشْقُرَها) من فصولِ الحكايةِ

من (حَبَقِ) الكلماتِ البريئةِ

حتى تُرحِّبَ بالواصلينَ إليها

تصافحُهمْ

ثمَّ تأخذُهم –نزهةً–

في قطارٍ من الغيمِ

فوق جبالِ الأساطيرِ

سُبحَان مَن قالَ لِلحُسْنِ: كُنْ!!

فأتى نَحوَها عاشِقاً

وأبى أن يُفارِقَ

آخِرَ فاتِحةٍ لِلجَمَالِ

وأوَّلَ مَعشوقةٍ لِلمَطَرْ.

أهنئُ قلبها

لمـــــاذا يـــــستطيبُ لهـــــا عِقَـــــابي

وقلبـــــي كلـــــما نطقـــــتْ أَتَـــــى بي؟!

لمَـــــاذا كلَّـــــما أغـــــدقتُ شـــــوقاً

تكرِّمُنـــــــي بـــــــإفراطِ الغيـــــــابِ؟!

أتجَهْـــــلُ أنّ روحـــــي في يـــــديها

وأني قَـــــدْ نَـــــذَرْتُ لهـــــا شَـــــبابي؟!

تَجـــــيءُ هُنَيْهَـــــةً وتَغيـــــبُ شـــــهراً

أُسَـــــائلها وتَهْـــــرُبُ مـــــن جَـــــوَابي

-أَتعـــــشَقُنِي؟ كَـــــمَا قالـــــتْ مِـــــراراً

-أفيهـــا مِـــنْ جُنُـــونِ الحـــبِّ مـــا بي؟

إذا كانـــــتْ تُـــــحِبُّ فـــــأيُّ عُـــــذرٍ

ستـــــــصلبهُ إذا وَقَفَـــــتْ بِبـــــابي؟

لهـــا أعـــذارُها، ولهـــا اعتـــذاري

ولِي تِيـــهُ الحقيقـــةِ في الـــضبابِ

لَعَلِّـــي مـــا كَبَحْـــتُ شُـــجُونَ قلبـــي

فـــأسرفَ في التولُّـــهِ والتَّـــصَابي

لَعَلِّـــي قَـــدْ قَـــسَوتُ بغـــيرِ قَـــصْدٍ

وأَزْعَجهـــا -كـــما يَبْـــدو- عتـــابي

لَعَلِّـــــي أو لَعَلِّـــــي أو لَعَلِّـــــي

وقـــد أخطـــأتُ، يفـــضَحُنِي صَـــوابي!!

ســـمائِي -كنـــتُ أحـــسبُها- وأرضي

وغَيْثـــاً كـــانَ يَحْـــسَبُها يَبَـــابي

وجنـــاتِ الغـــرام رأيـــت فيهـــا

تُبـــشِّرني بـــما يُغْـــرِي انجـــذابي

فكانَـــتْ فَـــوْقَ مـــا قَـــدْ قيْـــلَ عَنْهـــا

يقينـــــــاً في مُـــــــخيلةِ الـــــــسَّرابِ

لقـــدْ أخطـــأتُ، وهـــي أحـــقُّ منِّـــي

وقـــدْ نَالـــتْ بـــما فَعلَـــتْ ثَـــوابي

ومِـــــنْ آياتهـــــا أنِّـــــي مُـــــصابٌ

وقـــد جـــاءتْ تُعـــزِّيْ في مُـــصَابي

وكَـــمْ عَـــصَرتْ محبَّتُهـــا حيـــاتي

إذا ظمِئَـــــتْ يلـــــذُّ لهـــــا شَرابي

ومـــا رحَلَـــتْ لِتَجرَحَنِـــي، ولكـــنْ

مَخـــافَةَ أن يزيـــدَ بهـــا عـــذابي

أهنِّـــئ قلبهـــا: أحـــسنتَ قـــتلي

وأُبلـــغْ سَـــيِّدي المَـــوْتَ انـــسِحَابي

كدتُ أكفر بي

الحـــزنُ يـــشبهُ قلبـــي والعـــذابُ أنـــا

وغربـــةُ الحـــبّ تَبنـــي داخِـــلي وطنـــا

يـــــاااا أنـــــتَ دوَّى صراخٌ ملـــــؤهُ ألمُ

مـن ذا تنـادي؟! ومـن ذا في البقـاع هنـا؟!

زادتْ بوقـــعِ الـــصدى أحـــزانُ ذاكـــرتي

وبـــينَ مـــا بي وأفراحـــي رفيـــفُ منـــى

أحزانـــك البكْـــر يـــا قلبـــي معلَّقـــةٌ

عـــلى جـــدار التَّمنِّـــي تستـــشِفُّ سَـــنَا

وحـــول مَعْنَـــاك مَعْنـــىً ضـــلَّ وجهتَـــهُ

مـــن قـــابِ عمـــرينِ طفـــلُ الأمنيـــات دَنَـــا

دنـــــا -يغنـــــي وفي عينيـــــهِ أســـــئلةٌ

مـــن وَحـــي قلـــبٍ تخَطّـــاهُ الأســـى- ورَنَـــا

لا تــسألِ الفجــرَ.. إنَّ الفجــرَ في شــفتي

مــصفَّدُ النَّــاي، لحــنٌ لم يجَِــدْ أُذُنــا

فــاقرأ بقلبــي صــلاةَ الحــزنِ يــا شــجناً

أعمــى يطــاردُ في وهــمِ المنــى شــجنا

أنَّــى أقمــتُ أرى شــيئاً يــودِّعُني

كــأنَّ كــلَّ مُقــامٍ مــأتَمٌ وَعَنَــا

أنَّــى أوجِّــه وجهــي لا أرى أحــداً

إلَّايَ.. أنــسِجُ مــن طيــف الهــدى كفنــا

عَبَــدتُ ذاتي ولمــا كــدتُ أكفــرُ بي

نَــصَبتُ قلبــي بمحــراب الهــوى وَثَنــا

ورُحــتُ أجمَــعُ غَــيمَاتي التــي انفرطــتْ

ومــن ظــما الغيــبِ أستــسقي المَــدَى وَطَنَــا

أتعثَّر بالخوف

مُدَّ لي من حبالِ الحياة يداً

ليس خوفاً من الموتِ

أو فرحاً بالحياةِ الكئيبة

أو بالزمانِ الذي عشتُ أحملُ خيبتهُ

إنما ..

أملاً بغدٍ صالحٍ للبقاءْ .

.....

مدّ لي أيَّ شيءٍ ألوذُ بهِ

فدخانُ الشعاراتِ

يحرقُ آخِرَ سنبلةٍ

كنتُ خبأتها

للذينَ سيأتونَ من بعدنا

يحلمونَ بمستقبلٍ أخضرٍ

وسماءٍ بلا أسلحةْ.

أيّها الأبديُّ:

أخافُ على الوردِ والماءِ والسنبلةْ،

هل ستترُكها للخرابِ

يُكشّر عن نابهِ

ويسلُّ مخالبهُ

يتسرّبُ

يحتطبُ الأمنياتِ

ويلتهمُ الأغنياتِ

يبعثرُ ألحانهَا

يشنقُ الضوءَ لا شيء إلا الصريمَ يخُلِّفهُ؟!

من سيوقفُهُ

وأنا أتعثَّر بالخوفِ

لا الموجُ يسعفني

لا حبالكَ تدركني،

والشواطئُ

مأهولةٌ

بالرصاصْ؟!

إعراض

قــل مــا تــشاءُ، وكــفَّ عــن إيقــاظي

دعنـــي أُرتِّـــب داخـــلي أنقـــاضي

قــلْ مــا تــشاءُ، فكــلُّ مــا ســتقولهُ

-في عــين مــن أهــواه- فعــلٌ مــاضي

ســـــتقولُ لي: إنَّ الحقيقـــــةَ مُـــــرَّةٌ

لكنهـــا حُبـــستْ بـــبَطنِ القـــاضي

القيـــــدُ عقلُـــــكَ والإرادةُ عـــــالمٌ

فاحـــذرْ مـــن الإسرافِ في اســـتنهاضي

فلأنـــتَ تـــدري أن مجـــدَكَ كذبـــةٌ

ومـــداكَ أخـــوى مـــن (كـــلامٍ فـــاضي)

أغمَـضْتَنِي؟! مـا زلـتُ أبـصرُ مَطلعـي

وبوجهـــكَ الـــدَّاجي أرى إيـــماضي

هـــذا زمـــاني، فـــاخترعْ لـــكَ عالمـــاً

تـــأوي إليـــهِ... وذُقْ بـــهِ إعـــراضي

مـــا دامـــتِ الـــدنيا تنـــامُ براحتـــي

والـــصبحُ والأحـــلامُ مـــن أغـــراضي

لـــن تـــستطيعَ - وقـــد خَرَجـــتُ- تحمُّـــلي

- مهـــما فعلـــتَ مَعِـــي- ولا إجهـــاضي

مسيحٌ كاذب

جَـــــرِّبي يـــــا ريـــــحُ أن تختنقـــــي

أن تـــــذوقي المـــــوتَ كـــــي تنطلقـــــي

لا تكـــــوني مثـــــلَ مـــــن أنقـــــذتُهم

واسْـــتلَذوا- مـــن طمـــوحي -غرقـــي

جَـــــرِّبي ..لا تثقـــــي في جهـــــةٍ

إنهـــــا كـــــالجمرِ فـــــوقَ الـــــورقِ

كالعَلَاقَـــــاتِ التـــــي قَدَّسْـــــتُها

زئبـــــقٌ في زئبـــــقٍ في زئبـــــقِ

صَـــــدِّقي يـــــا ريـــــحُ قلبـــــي، إِنَّـــــهُ

نـــــصفُ مجنـــــونٍ بعقـــــلٍ منطقـــــي

كـــان مـــثلي يـــشتكي ســـوطَ الأســـى

غـــــيرَ أن الـــــسيرَ أعيـــــا طرقـــــي

نـــــال منّـــــا المـــــوتُ إلا نَفَـــــسَاً

فاحـــــذري يـــــا ريـــــحُ أن تستنـــــشقي

زمنـــــي هـــــذا مـــــسيحٌ كـــــاذبٌ

في (حواريّيـــــهِ) مـــــا ثَـــــمَّ نقـــــي

لم أخرق البحر

وحـــدي مـــع الليـــلِ ألقـــاهُ ويلقـــاني

إن غبـــتُ عنـــهُ بطَـــرْفِ الهـــمِّ نـــاداني

حِينـــاً أواسِـــيهِ كَـــي يَـــسْلَى بخَيبتِـــهِ

وكلَّـــما جئتـــهُ بـــالهمِّ واسَـــاني

يـــا ليـــلُ يـــا ليـــلُ نِـــصفي فِيـــكَ محُتـــشِدٌ

وأنـــتَ محُتـــشِدٌ في نِـــصفِيَ الثَّـــاني

بِتنـــا يَتِيمَـــينِ إلّا مِـــن مَوَاجِعِنَـــا

فمَـــنْ تَعَهَّدْتَـــهُ بـــالقهرِ ربَّـــاني

نُغَالِـــبُ العُمـــرَ تُحـــصِينا دَقَائقُـــهُ

قرأتُـــه الحـــزنُ في المعنـــى وقـــرآني

كـــلٌّ يفـــتِّشُ عـــن مـــأوىً لغايتـــهِ

والـــدهر بيـــتٌ بـــلا سَـــقفٍ وجُـــدرانِ

سِرنـــا مَعـــاً غـــيرَ أن الليـــلَ يكـــبُرُني

إذا ســـألتُ بعُنـــفِ الـــصمتِ أفتـــاني

حتـــى إذا أكمـــلَ المـــشوارُ دَورتَـــهُ

مِـن سـاحلِ الغيـبِ حتـى طُـورِ أشـجاني

ألقـــى عَـــصَاهُ عـــلى بَحـــرٍ بـــلا لغـــةٍ

وقـــالَ مـــا لم يكـــنْ يومـــاً بحـــسبانِ:

لم أخـــرقِ البحـــرَ إلا كـــي أُجفِّفَـــهُ

أمـــا الـــسفينةُ هـــذا شـــأنُ جـــيراني

إن كنـــتُ رُبّانَـــها فالـــدافعونَ هُـــمُ

وذاك معنـــىً لـــهُ في الغيـــبِ سِرَّانِ

أمّـــا الجـــدارُ فكنـــزٌ تحتـــهُ لأبي

وقـــد حملـــتُ لكـــي ألقـــاهُ أَكْفَـــاني

وهـــذه حكمـــةٌ لا بُـــدَّ تعرفهـــا

أمـــا الغـــلامُ فنَجْـــلُ الـــشيخِ عـــثمانِ

مـــا أَلأَمَ الليـــلَ أغـــواني بدمعتـــهِ

واليـــومَ خلَّفنـــي أشـــقى بـــأحزاني!!

تصوّف

مُــدِّي يَــدَيكِ ونــامِي مِــلءَ أحــضاني

يــا شــهرزادَ أحاسيــسي وألحــاني

مُــدِّي يَــدَيكِ فأَنَّــاتي تُبَعثِــرُني

مِــنْ سَــفحِ روحــي إلى قيعــانِ أحــزاني

ولْتَخلَعِــي مــا يُــواري الــضوءَ عــن مُــدُني

حتــى يُــضاحِكَ أنفــاسي وشُــطآني

متــى التقينــا؟ بيــومٍ كــان يــشبهنا

في شــهر عينيــكِ مِــن مِيلادِنــا الثــاني

بــساعةٍ كاشــتهاءِ الحُلْــمِ طلعَتُــهُ

مِــن مَخــدَعِ الغيــبِ في نــومِ الفتــى العــاني

لا تــصلُبي الوَقْــتَ في شُــبَّاكِ لوعتِــهِ

إنّ الثــوانِي بــلا عَقــلٍ كطوفــانِ

دَعـــي التـــواريخَ واســـتلقي كَمِـــسبحةٍ

عـــلى أنامـــل صوفِـــيِّ الهَـــوى فـــاني

مـا زلـتُ..، -حتـى أنـا مـا زلـتُ يَفـضَحُني

تَـــدَفُّقُ الحـــبِّ مـــن ينبـــوعِ وجـــدَاني

-ألا تحـــــسِّين أني فيـــــكِ مُحْتَـــــشِدٌ

كأنـــتِ صرتِ أَنَـــا في عمـــقِ إنـــساني؟!

كانـت تجيـبُ، بِـلا صـوتٍ، وأسـمعُها:

-كـمْ عـشتُ في الحُلـم ألقَـاه ويلقـاني!!

إذ رُحـــتُ أقـــرأُ مـــن آياتهـــا سُـــوَرَاً

كـــي يـــستقيمَ بـــدِينِ الحـــب إيـــماني

وأســـــــتلذُّ بترتِـــــيْلي لأحرفِهـــــا

فَجَـــلَّ مَـــنْ بكتـــابِ النـــورِ أغْـــوَاني

تفاحة يوسف

بـــكَ كـــذَّبوا وأنـــا اتّـــخذْتُك دِينـــي

لكـــنّهم صَـــلَبوكَ مِـــلءَ جُفُـــونِي

ورَجَعـتُ مِـن عَـدَمِي إليـكَ، فكنـتَ لي

صَرْحَ الحقيقـــةِ في خَـــرابِ يقينـــي

إنْ مَزّقُـــوكَ فأنـــت بـــين جـــوَانِحِي

سِرُّ الحيـــــاةِ و طِينـــــةُ التّكـــــوينِ

كـانوا الـذئابَ ، وكنـتَ -وحـدَكَ - يُوسـفاً

والجُـــبُّ كـــان مخـــاوِفي وعيـــوني

حَلَفـــوا ، فـــأَنكركَ القمـــيصُ ، وكُـــذِّبوا

وأنـــا حلفـــتُ فكنـــتَ بِـــرَّ يمينـــي

والـــسائرونَ يَـــدُ الـــسماءِ أتـــتْ بهـــم

كـــي يَـــحْمِلوكَ عـــلى بُـــراقِ حنينـــي

بـــاعوكَ مِنّـــي فاشـــتريتكَ بالمَـــدَى

وهَـــوَاكَ كـــانَ عـــلى الوِفـــاقِ ضَـــمِيني

فَبَلَغْـــتُ أقـــصَى مـــا يكـــونُ لعاشـــقٍ

يـــا مُنتهـــى المَـــضمونِ في مَـــضمُوني

ولِفَـــــرْطِ حُبِّـــــكَ لا أُفـــــرِّقُ بَيننـــــا

هـــل راوَدَتْـــكَ فَغَلّقَـــت ... تُغرينـــي؟

فَلْتُغْلـــقِ الأبـــوابَ...، قُـــدَّ قمِيـــصُها

مِـــن بَطـــشِهِم، وفَتَحْـــتُ بـــابَ شـــجوني

هُـــم جَرَّدوهـــا كـــي تَكُـــونَ خطيئتـــي

حتـــــى إذا عانقتُهـــــا فَـــــضَحُوني

وأنـــا وإن كنـــتُ الأحَـــبَّ لِقلبهـــا

بَرّأْتُهـــا، ورَحَلـــتُ نَحـــو سُـــجوني

حَيــثُ اتّــحدتُ بهــا، فكانــت جنتــي

لي عــــشقُها، وَلَـــهُم رمـــادُ الطـــينِ

يــا صــاحِبَيَّ الــسجنِ تقــتُ لوصــلِها

فَخُـــذا إليهـــا دمعتـــي وجبينـــي

قـــولا لـــربكما: تَقَـــدَّسَ سِرُّهـــا!!

تلـــك التـــي لوصـــالها تـــدعوني

فَـــسَّرتُ رؤيـــاهمْ، وذقـــتُ عـــذابها

فـــالطيرُ تأكـــلُ مِـــن زهـــور ســـنيني

وخَرجْـــتُ والرؤيـــا تفـــسِّر نفـــسها

تفـــاحتي بيـــديْ مـــع الـــسِّكِّينِ

والـــسارقونَ ســـنابلي لم يعرفـــوا

أَنَّـــي عَلِمـــتُ بهـــمْ ومـــا عرفـــوني

أطعمـــتهمْ قلبـــي وخبـــزَ مـــشاعري

لكـــنَّهم مـــن جهلهـــمْ سرقـــوني!

لِـــي مـــا حَلُمـــتُ بـــه وَهِـــمَّةُ إخـــوتي

ولَكُـــمْ قميـــصي فاحْـــمِلوهُ بـــدوني

جهاتُ التّيه

أَخــافُ مــن الطوفــانِ والبحــرُ دَاخِــلِي

تـــــوزّعني آهاتُـــــهُ في ســـــواحلي

أُفَـــتِّشُ عنّـــي فيَّ عُمْـــراً ممزقـــاً

متــى ســوفَ ألقــاني مجــازاً بكــاملي؟

فحينــاً معــي أبــدو .. وحينــاً بمفــردي

كـــأني شـــبيهي أو كـــأني ممـــاثلي

إلى أيــنَ؟ لا أدري.... إلى أيــن؟ لا أرى...

فكــلُّ جهــاتِ التّيــه صــارت مَــداخلي

أُشَرِّقُ بَوحــاً كلّــما غَــرّبَ الأســى

كــأنَّي انتحــابُ الــسّدِّ في كــلِّ زامــلِ

أراني كثـــــيراً في قليـــــلٍ مبعثـــــرٍ

تباعَـــدَتِ الأســـفارُ رُغـــمَ التواصُـــلِ

ورُغـم اتِّـساعي تهُـتُ في زَحمَـةِ المُنـى

و عـن آخِـري كَـم سـاءَلَتْنِي أوائِـلي...؟

وأبحـثُ عـن وَجهـي، ومِـن حَيـثُ جِئتُـهُ

أعُـــودُ وقـــدْ أفنَيـــتُ بالـــشَّكِّ كَـــاهِلِي

فَهَـل أقـصدُ البَيـدَاءَ خَوفـاً مِـن الظَّـمَا

ولم تُزهِـــرِ الرَّمـــضاءُ إلا بِـــوَابِلي؟!

أَأَهـــرُبُ مِـــن ظِلّـــي وظِلِّـــي مـــسافرٌ

يُفَـتِّش عـــن مـــأوىً لـــهُ في المنـــازلِ؟!

ولي منـــزلٌ في الغيـــبِ والغيـــبُ غربـــةٌ

وتلـــكَ مفـــاتيحُ المَـــدَى مِـــن أنـــاملي

حَفِظـــتُ كِتـــابَ الوقـــتِ إلا دقيقـــةً..

مِـــن الـــوَهمِ فِي عَـــدّ الـــسرابِ التنـــازلي

تـشاءَمْتُ مِنّـي، هـل أنـا عكـسُ مـا أرى؟!

وهـــل سُـــوءُ ظنّـــي عِلَّتـــي؟! أم تفـــاؤلي؟!

أنـــا عـــالمٌ مُـــستعمرٌ مِـــن ثيابـــهِ ..

يُدَجِّجُـــــــهُ سُـــــــكّانهُ بالقنابِـــــــلِ

فَهَل سَوفَ أنجُو -مِثلَ ما عشْتُ- صدفةً؟

أم الـصمتُ في حَـربِ الغوايـاتِ قـاتلي؟

وهـــل ثِقَتِـــي في الـــرّيحِ إلّا خُرَافَـــةً

كَمَـــن آمنُـــوا بـــالفَرضِ بَعـــدَ النوافـــلِ؟!

كَـــبِرتُ عَـــن الأشـــياءِ حتّـــى تمَـــرَّدَتْ

ودَارَيتُهـــا حتـــى اسْـــتَحَلّتْ مَفَاصِـــلي

فــإن حَاوَلَــتْ أن تَنــصبَ اليــومَ عَرشَــها

أقـــولُ لهَـــا: فَلْتَهـــدَئِي، لا تُـــحَاوِلي

نَفَــضتُ غبــارَ التّيــهِ في صَــحوةِ الــرؤى

وأغمــضْتُ عَقــلِي في ازدِحَــامِ العَوَامــلِ

فَـــسِرُّ الـــذي بي أننـــي غـــيرُ مُـــدْرِكٍ

بـــأنّ جَـــوَابي جُملـــةٌ في تـــساؤلي

(. ؟)

مَـــا الحُـــبُّ إن لم تطلِقِـــي أشـــواقي

وتُخَـــصِّبي الأحـــلامَ في أعماقـــي؟!

مـــا الحُـــبُّ إنْ لمْ تَـــشْمَخِي في دَاخِـــلي

كأَنَـــايَ في الإنجـــازِ والإخفـــاقِ؟!

مـــا الحُـــبُّ إنْ لمْ تُزهِـــري أنـــشودةً

في الغـــيمِ تَـــجْرِي أحرُفـــاً وسَـــوَاقي؟!

مـــا الحُـــبُّ إن لم تَـــشعُري بتطلُّعِـــي

قَبـــلَ انْـــبِلاجِ البَـــوحِ في أخْـــدَاقي؟!

مـــا الحـــبُّ يَـــا مَـــنْ تهـــرقينَ مـــشاعري

في وسوســـاتِ الحِـــبْرِ لـــلأوراقِ؟

مـــا الحـــبُّ إن لم نـــستظلَّ بظلِّـــهِ

لنكـــونَ ظِـــلَّ الله في الآفـــاقِ؟!

مـــا الحُـــبُّ إن أبقيـــتِ منـــهُ بقيَّـــةً؟

حتـــى متـــى سَـــتُخبِّئينَ البـــاقِي؟!

مـــا الحُـــبُّ إن داريـــتِ منـــه مـــسافةً

خوفـــاً مـــن التَّبْـــذير والإمْـــلَاقِ؟

الحُـــبُّ تحليـــقٌ وكفـــرٌ واجـــبٌ

بـــالعرُفِ، بـــالمَورُوثِ، بالأنـــساقِ

الحُـــبُّ أشـــبهُ مـــا يكـــونُ بغـــزوةٍ

فيهـــا امتحـــانُ العاشـــقِ العمـــلاقِ

هـــو ثـــورةٌ كـــبرى، جنـــونٌ صـــادقٌ

وَصْـــلٌ بغـــيرِ تواصـــلٍ وعِنَـــاقِ

الحُـــــبُّ روحُ اللهِ في أرواحنـــــا

وعقيـــــدةٌ فِطريَّـــــةُ الأشـــــواقِ

فـــإلى متـــى ســـأظلُّ أنْـــزِفُ لوعَـــةً

وأُحِـــسُّ أنَّـــكِ تُـــضمِرينَ فِراقِـــي؟!

لـــو كـــان حبُّـــك – كالـــصباحِ – حقيقـــةً

فلِـــمَ انطفَـــأْتِ بلحظـــةِ الإشراقِ؟!

خانـــتْ عواطفُـــكِ الـــسَّرابُ تَـــوقُّعي

لمـــا ظننتُـــكِ في الهـــوى تِرْيـــاقِي

سَـــأظلُّ -رُغْـــمَ الجُـــرحِ- أولَ عاشـــقٍ

-مهـــما انكـــسرتُ- وآخـــرَ العُـــشاقِ

الشوارع تعرفنا

لا تلوموا أبي

إنّهُ مثلُ آبائهِ الطيبينَ

يزمّونَ منْ عَرقِ الموتِ خبزَ الحياةِ

ويقتسمونَ وأهلهمُ

وجبةَ الحزنِ والخوفِ من غدهمْ،

غدُهمْ طافحٌ بالضياعِ

أبي....

ذلكَ الشجنُ القرويُّ المعتَّقُ بالأمنياتِ

يرتِّبُ أحلامهُ في المساءِ

على غفلةٍ من عيونِ الفراشاتِ

يسترقُ الضوءَ منهمكاً

رغمَ خبرتهِ ورشاقةِ كفّيهِ

حتى يسدّدَ

ما بيعَ بالأمسِ من عمرِنا في (الإشاراتِ)

لاشيءَ إلا الفراغُ يضايقهُ

و بهِ ينتشي حينَ نرجعُ من رحلةٍ

لا الشتاءُ سعيدٌ بها

لا، ولا صيفُ أحلامِنا اليابسةْ

هاهي الآنَ جاهزةٌ

كلُّ (كرتونةٍ) تشتكي حمْلَها

من سيسمعها، أو سيرحمنا؟!

.. يا إلهي..!

وكيفَ سنجعلها في عيونِ الزبائنِ محبوبةً مغريةْ؟!

* * *

وحينَ يجيءُ الصباحُ

يرافقنا، ثمَّ يرفعُ كفّيهِ

هل كانَ يدعو لنا

أن نعودَ إلى البيتِ - في غبطةٍ-؟!

أم تراهُ دعا اللهَ أن لا نعودَ بأحمالنا؟

أن تُفّتحَ أبوابُ رحمتهِ

كي نوفرَ ما يحفظُ الماءَ

-ماءَ الوجوهِ -

إذا جاءنا صاحبُ البيتِ

في غيرِ موعدهِ فاغراً جيبَهُ

وعلى وجههِ ترقصُ العاصفةْ.

.....

.....

وبعدَ جفافِ العباراتِ

مستبشراً

كانَ يفتحُ جفنيهِ

كي يوقظَ الشمسَ منْ نومها،

فتشخَّصُ أبصارُنا،

والوجوهَ التي أَلَّفَتْها الفصولُ

نراقبُها باسمينَ ..

تلمّعُ بالغيمِ أسنانها اللازوردْ

وتغزلُ قمصانها من حريرِ الندى.

تدلّي ضفائرها فوقَ صدرِ الوجودِ

الذي لا وجودَ لأمثالِنا فيهِ

إلا بتعميرِ أيامِنا بالكفاحْ.

كلُّ شيءٍ لهُ نكهةٌ

وردهُ الاعتياديُّ

بوحُ ملامحهِ،

الزقاقُ الذي منهُ نبدأُ مشوارَنا

في الطريقِ إلى اللهِ،

شدوُ العصافيرِ،

حزنُ النسيمِ،

وصوتُ أبي

إذْ يودِّعُنا ويفرِّقُنا للزيادةِ في الرزقِ

معتقداً أن كلَّ الشوارعِ تعرفنا

أننا مثلهمْ

فتيةٌ آمنوا

رَكِبُوا البرقَ

من كلِّ فجٍّ إلى لُقمةِ العيشِ ساروا

بأقدامهمْ طرّزوا الأرضَ

في زمنِ الجوعِ والقحطِ والأوجهِ العابسةْ.

وحينَ نعودُ لنعطيهُ رملَ خيبتنا

بعدَ يومٍ من الكدِّ

نشتمُّ رائحةَ الفولِ

تغمرُنا نشوةُ الواصلينَ إلى المشتهى

القليلُ من الخبزِ يكفيْ

ليُجلسَنا ويحدّثَنا عن طفولتهِ والشبابِ

يقلّبُ ألبومَ أيامهِ

ثمَّ يروي لنا

-قبلَ أن يسرقَ النومُ أجفاننا-

من أساطيرِ أجدادهِ الكادحينْ.

.....

.....

.... سألتُ أبي – ذاتَ يومٍ-

لماذا نعظِّمُ مَنْ سرقوا من براءتنا عِطرها؟!

من طفولتِنا وردَها

وبلا رحمةٍ صادروا حقَّنا في الفرحْ؟!

لماذا نموتُ ونحيا بلا هدفٍ واضحٍ يا أبي؟

تعثرتِ الابتسامةُ في شفتيهِ

تصفّحَنا

ضَمّنا ملءَ أحضانهِ

ثم قالْ:

رُبَّما تتبدّلُ أقدارُنا

فالحياةُ مراوغةٌ يا بني

ربما.....

ربما.....

ولكنَّ حظَّ الضعيفِ

ضعيفٌ وأحلامُه باهظةْ.

.....

فأدركتُ أن أبي كانَ يعقوبَ أحزانهِ،

وأنّ السؤالَ

قميصٌ بلا رائحةْ!!

حرير الأمنيات

مـا بي مـن الهـمِّ لـو تـدري الـسماءُ بـهِ

لاسَّـاقَطَتْ كـي يُـوارى منـه مـا انبجـسا

تَبّـــتْ يـــدُ الحـــزنِ في رأسي مطارقـــهُ

لا نـــــالَ منـــــي ولا دارَى ولا انتكـــــسا

كـــــأنني واحـــــدٌ يـــــشقى بأمتـــــهِ

أو أمّـــةٌ كـــلُّ مـــن عاشـــوا بهـــا بُؤَسَـــا!!

فكيـــفَ أخلـــعُ عمـــري والحيـــاةُ بـــهِ

قـــصيدةٌ مـــن شـــظايا أدمـــعٍ وأســـى؟!

والمعـــدمُونَ حـــروفٌ ضـــلَّ كاتبُهـــا

مـن ذا سَـيُدْركُها كَـيْ تـستطيبَ عـسى..؟

هـــذا زمـــانٌ كـــأنّ الـــدهرَ فـــصَّله

عـــلى مقـــاسِ دمـــوعِ القهـــرِ والتُّعَـــسَا!!

فـــأينَ أهـــربُ منِّـــي كـــي أُخَلِّـــصَني

و(مالــكٌ) لمْ يــصافحْ داخــلي (أنَــسَا)؟!

وحــدي أصــارعُ همّــاً صــارَ مــن جــسدي

ويَـــــسْتلذُّ بِـــــذُلِّ الأُمَّـــــةِ الرُّؤسَـــــا

لي أُمَّـــةٌ نـــامَ ديـــكُ الحـــقِّ في دمهـــا

وزورقُ الـــــصبحِ في أهـــــدابِها نَعَـــــسَا

حملتُهـــا في ضـــلوعي وهـــي تركُلُنـــي

وتلعـــنُ العـــزَّ لـــو في أذنهـــا هَمَـــسَا

هـــــذا العـــــذابُ أنـــــا أَدْرَى بِمعدَنِـــــه

فَلَـــــيسَ إلّايَ في أعماقـــــه غَطَـــــسَا

وهـــــذه أدمعـــــي صـــــفراءُ داكنـــــةٌ

فمـــنْ يُفَـــسِّرُ في معنـــايَ مـــا الْتَبَـــسَا؟!

مـــا أوسَـــعَ الهـــمَّ في قلـــبٍ يكابِـــدُهُ

وأضـــيقَ العمـــرَ لـــو في مبتـــداهُ رَسَـــا!!

إن قلـــتُ: رفقـــاً، تمـــادى في دَنَاءَتِـــهِ

ومـــدَّ رجليـــه حتـــى يكـــتمَ النَّفَـــسَا

إني أرى الليـــــلَ في الأرواحِ معتكِفَـــــاً

يَـــخِيْطُ مـــن صـــمتنا للقـــادمينَ مَـــسَا

مَـــن سَـــهَّدَ الـــصبحَ حتـــى نـــام في دَمِنـــا

فَـــمَا رَأينَـــا لـــهُ مِـــن حَولنـــا قَبَـــسا؟!

طالـــت فـــصولُ المَـــآسِي في جَوَارِحِنَـــا

حتـــى غَـــدَونا عـــلى أرواحِنـــا عَسَـــسَا؟!

لكننـــي لـــن أخـــونَ الحلـــم في وجعـــي

فلـــم يـــزلْ في قـــدور الأمهـــاتِ حَـــسَا

وردُ الربيـــــعِ بـــــه شَـــــوكٌ ورَائِحَـــــةٌ

تفـــوح بالحـــبّ مَهـــما جَـــفّ أو يَبـــسا

كـــذلك العمـــر مـــا رقَّـــت أظـــافرُهُ

إلّا لأنَّ حريـــــرَ الأمنيـــــاتِ قَـــــسَا

أدغال أحجية

مِـن مَطلَـعِ الحُـزنِ حتـى هَجعـةِ الوَجَـعِ
فرّغـتُ نَفـسي لِنَفـسِي كَـي أعـيشَ مَعِـي
ومِـــن هُطُـــولِ انكـــسارَاتي بـــلا سَـــببٍ
تَـــبَرعَمَ الهَـــمُّ فِي ضِـــيقِي ومُتَّـــسَعي
وأغمَـــضتْ وردةُ الأفـــراحِ ضِـــحكَتَها
عـــلى شُـــعاعِ المُنـــى المُبتـــلِّ بـــالهَلَعِ
ورُحـتُ أسـأَلُ "عَـن حَـالي وكَيـفَ أنـا؟"
ووَحـدَها الـرّيحُ كانـتْ يـا جَـوَابُ تَعِـي
والـــرّيحُ مجَنونـــةٌ شـــمطاءُ عَـــابرةٌ
تُـــزَوِّجُ القحـــطَ والحِرمـــانَ بـــالطَّمعِ
ســـتونَ صـــيفاً، وحطَّـــابٌ بـــألف يـــدٍ
مـــا قـــال يومـــاً لإحـــداهنَّ: فلْتَـــدَعِي

شـذَّتْ عـن الـسطرِ أقـدامي، فقـالَ لهـا

مـن قـالَ للـشمس: كـي لا تُكـسري ارتفعـي

وقـالَ لي قائـلٌ: -هـل مـا تـزالُ كـما...؟

-كـما تجمَّعـتُ مـن أشـتاتِ مجتمعـي

مـا بـينَ نفـسي ونفـسي أقتفـي لَـمَمِي

مـن مُـحدَثاتِ احـتمالاتي إلى البِـدَعِ

حُـزْني عـصايَ، وشـعري طُـورُ أسـئلتي

لـو أضربُ البحـرَ مـن يحنـو عـلى البجـعِ

أنـا رسـولي إلى أدغـالِ أُحجيتـي

وسـوفَ أغـدو إذا مـا شِـئْتُ مُتَّبِعـي

تَغَـرَّبَ الكـونُ في رأسي وغرَّبنـي

غيـبُ الحقيقـة في مـستنقعِ الخِـدعِ

عروسٌ وعشرون عكّازا

(في ضيافة جوَّاب العصور)

-مـن أنـتَ؟- هـذا أنـا في ثوبـكَ البلـدي

حُـزنِي قَـدِيمٌ وتَـاريخِي بـلا سَـنَدِ

وَجَـدْتَنِي يَمَنِيّـاً فِي تَوَجُّـسِهِ

خَـوفُ المَـسَافةِ مِـن مِـشوارِهَا الأبَـدِي

بـالأمسِ كُنّـا مَعَـاً نَـسري بمُعتقـدٍ

وحِـينَ غَـادَرْتَنِي ضَـيّعتُ مُعتقَـدِي

لم يقـرأِ الوَقـتُ شـيئاً مِـن مَلَامحِنـا

ومـا عَبَرنـا سِـوى فَـصلٍ مِـن الكَمَـدِ

- مـا زالَ وَجهُـكَ عُريانـاً -كَعَادَتِـه-؟

- ولم يَـزَلْ يـا أبي قَلبـي عـلى بَلَـدي

- تَقَشَّر الصُّبحُ في عَينَيكَ- وانكَسَرتْ

زُجَاجَةُ الحُلمِ في أمسي وفجرِ غدي

و(السِّتُّ) حُبلَى -كَمَا يَبدُو- (بسَابعةٍ)

والعمُّ (عرقوب) لم يخلفُ ولم يَعِدِ

حتى العروسَةُ في أطرافِها وَجَعٌ

تَذْوي وأقدَامُها العِشرُونَ في المَسَدِ

و(التِّسعة) اليومَ أضعافٌ بلا هدفٍ

بلا طموحٍ، بلا حلمٍ، بلا رَشَدِ

نامُوا سُكَارَى بكَهفِ الخَوفِ، ما انتبَهُوا

فكحّلَ (الكلبُ) عينَ القومِ بالرّمدِ

والآن يا عمُ، هل ما زلت تجَهَلُنِي؟

بالأمسِ سَافَرتَ عَبري... نِمتَ في خَلدي

أُمْـــدُدْ يَـــدَيكَ سَـــتَلقانِي عـــلى قَلَـــقٍ

أُجمّـــعُ الـــوَطنَ المَـــذبوحَ في جـــسدي

عينـــاي (صـــنعا) وقلبـــي نبـــضهُ (عـــدنٌ)

(تَعِـزٌّ) صـدري (سُـقَطْرَى) مُهجَتِـي ويـدِي

والـــشَّعب يحَـــرث في صَـــحراءِ خَيبتـــهِ

عِـشرينَ حُزنـاً، ويَـسقِي الـوَهمَ بالجَلَـدِ

عَرَفتَنـــي؟ لا تقـــلْ مـــا زلـــتَ تجهلنـــي

أنا "المثنى" أنا "القاضي" أنا "الجَنَدِي"

هـــذا أنـــا أنـــتَ، لا يـــدري بنـــا أحَـــدٌ

"فلـــم يعـــدْ أحَـــدٌ يحَنُـــو عـــلى أحَـــدِ"

- نعمْ، عرفتكَ (يا ابني) هل وصلتَ إلى...؟!

- إلى الـــذي كنـــتَ تخـــشاهُ ولم أعُـــدِ

بِـــضعٌ وعـــشرونَ مليونـــاً عـــبرتُ بهـــم

وكنـتُ أخـشى عـلى كنـزي مـن الحـسدِ

لكـــــنهمْ خـــــذلوني قبـــــل أن يـــــصلوا

(تَفَيرَســوا) في عروقــي، ســمَّموا كبــدي

وكنـــــتُ أصرخُ فـــــيهمْ: إنـــــهُ وطنـــــي..

لم يعـــبرِ الـــصوتُ في بحـــرٍ مـــن الزبـــدِ

ناديـــتَ فـــيهم، فقـــالوا: ناقـــةٌ عُقِـــرَت

وناقـــــةُ الله ...لم تُعقَـــــر ولمَ تَـــــردِ

أفنَيـــتَ عُمـــرَك كَـــي تَرقَـــى بهـــمْ جَـــبَلاً

وصَـــخرَةُ الـــوعيِ "سِـــيزيفيَّةُ" الـــرَّأَدِ

"مَدِينَـــةُ الغَـــدِ" حَـــادُوا عَـــن نَوافِـــذِها

وأنـــتَ (جَـــوّاب عَـــصرٍ) بَعـــدُ لمَ يفـــدِ

وُجُـــوهُهُم في مَرَايـــا الـــصُّبحِ عَابـــسةٌ

ولـــيلُهُم بالغَـــدِ المَـــأمُولِ لمَ يَـــجُدِ

ولّـــى زَمـــانٌ وهـــذا مِثلـــهُ ثَمِـــلٌ

عِـشنا غَـريبينِ، يـا خَـوْفِي عـلى وَلَـدِي

تَوجُّسْ

أسقطَ النومَ من بالهِ

واستلذَّ بإهمالهِ

مُمعناً في التوجُّسِ،

خالٍ يفكِّرُ في صمتِ أغلالهِ،

وعلى البابِ ينتظرُ الحبُّ

يستفسرُ البابَ عن حالهِ

لن يَهُمَّ بإدخالهِ

رتَّبَ الانتظارَ وخبّأهُ

في تقاسيم موَّالهِ.

* * *

كلُّ شيءٍ على حالِهِ:

النوافذُ شاردةٌ،

علبةُ التَّبغِ فاغِرةٌ .....،

المدينةُ مشلولةٌ مثلُ جَوَّالِهِ،

كلُّ شيءٍ على حالِهِ:

الحروفُ تُرَاوِدُهُ،

والهَوَاجسُ مجَرُوحَةٌ

كفراشاتِ آمَالِهِ،

وتطاردُهُ لحظةٌ.. لحَظتَانِ

تَقَافَزُ

خلفَ تباريحِ أطلالِهِ

زمنٌ فائضٌ لن يَهُمَّ بإقفالِهِ.

وحدهُ الصمت مُسترسلٌ في رؤاهُ

يُصاحِبهُ ويهيمُ بتِرحالِهِ،

لحَظةٌ .. لحظتان..

سَرى الليلُ

لا شيءَ في بالهِ.

.....

كُلُّ شيءٍ على حالهِ:

باغتتهُ السَّكِينةُ

همّت به،

دخل النَّوم من شالِهِ،

فاستراحَ مِن الصَّمت مُبتسماً،

ومن الشُّرْفَةِ المُطْمَئنّةِ

أَلْقَى بأَحوالهِ.

صرخةٌ خضراء

للـــــصبحِ قنـــــديلٌ ولي قنـــــديلي

فامـــسحْ بجرحـــكَ دمعـــةَ المنـــديلِ

ولـــصرخةِ الإســـفلتِ في أذنِ الخطـــى

مـــا يـــشبهُ التهـــويمَ في التهليـــلِ

وجمـــاجمُ المـــوتى بـــسيفٍ عـــابرٍ

ليـــستْ تفكـــرُ في أســـىً وعويـــلِ

والـــصرخةُ الخـــضراءُ صـــارتْ جنـــةً

مـــن يـــومِ أن بعثـــتْ بثغـــرِ النيـــلِ

حملـــتْ بريـــدَ الفـــاتحينَ إلى المـــدى

ببداهـــةِ (الفـــيس بـــوك) و (الإيميـــلِ)

والآن تُعـــــشبُ في مـــــسارٍ مُـــــبهمٍ

وتفـــــاجئُ المعلـــــومَ بـــــالمجهولِ

وتُقـــيمُ في كـــلِّ اتّـــجاهٍ حفلـــةً

والكـــلُّ يهتـــف نحوهـــا: «غَنِّـــي لي»

فـــإذا شـــدتْ بَرِئَـــتْ طفولـــةُ لحنِهـــا

مـــن نغمـــةِ التطبيـــلِ والتبجيـــلِ

بعثـــوا لهـــا هِـــرّاً فـــأوجسَ خِيفـــةً

لمَّـــا رَآهـــا فـــوق رأسِ الفيـــلِ

نَـــصَبوا لهـــا فَخًّـــا، نَجَـــتْ مـــن كيـــدِهم

وتيقَّنَـــت في إســـمها المَوصـــولِ

ومـــضتْ كـــما شـــاءت ...فـــأولُ خطـــوةٍ

كانـــتْ تتـــوقُ إلى وصـــالِ الميـــلِ

فكرة الباب

أَيُّ دربٍ إلى الغـــدِ الـــوَهمِ أَنقَـــى

والأمـــاني بلجَّـــةِ الغيـــبِ غَرقَـــى؟

لحيـــةُ الليـــل أطفـــأتْ شـــمسَ روحـــي

واســـتدارتْ فأخمـــدتْ مـــا تبقَّـــى

يـــا مرايـــا الأســـى، أتـــدرينَ مـــا بي؟!

كـــلُّ فجـــرٍ بـــداخلي مـــاتَ رِقَّـــا

لم أزلْ حـــائراً، إلى أيـــنَ أمـــضي

والزوايـــا وفكـــرةُ البـــابِ حمقـــى؟

كـــلُّ دربٍ عبرتُـــهُ كـــانَ جرحـــاً

مـــن حنـــينٍ يطـــوي المـــسافاتِ توقـــا

كـــلُّ ربٍّ رفعتُـــهُ رامَ خفـــضي

وهـــو باســـمي يزيـــدُ شـــأواً ويرقـــى

بـــينَ مـــوتينِ لم أزل –بعـــدُ- أعـــدُو

هــل ســأنجو ..لأجعــلَ المــوتَ خلقــا؟!

أَيُّ دَربٍ إلى الغـــدِ الحلـــمِ يُفـــضِي

والأمـــاني تَفِـــرُّ عنِّـــي لتبقـــى...؟!

كـــلُّ نجـــمٍ يلـــوحُ في الأفـــقِ يهـــوي

ويلـــوكُ الخيـــال سَـــحْباً وطرقـــا

هــلْ نــوالي الــضحى ولــو كــانَ أعمــى؟!

ونـــسمِّي ولادةَ الـــضوءِ طلقـــا؟!

بــين عُمــرٍ مــضى ومــا ســوفَ يــأتي

ثـــمَّ غـــولٌ يجـــرُّ عـــشرينَ عَنقـــا

عـــبرَ المـــوتُ في دمـــي ثـــمَّ أفـــضى

لي بـــسرٍّ، وقـــال لي: أنـــتَ أبقـــى

جفاف الماء

صُـــلِبَتْ ببابِـــكَ لوعـــةُ الأشـــياءِ

أَلِـــفُ الوقـــوفِ وهمـــزةُ الأســـماءِ

حُلمـــي الَّـــذي فَقَـــأَ المـــساءُ عيونَـــهُ

بأظـــــافرِ الظلـــــماءِ في البيـــــداءِ

مَـــوَّالُ رَاحِلَتِـــي إليـــكَ، قـــصائدي

أرقَ اشـــتياقي، لهفَتِـــي، إغمائـــي

يـــا غـــابَتِي الأولى وكَهـــفَ بَـــدَاوَتي

ومَـــدِينتي المُـــثلى ورُوحَ ســـمائي

مـــا لي إذا مـــا جئـــتُ نحـــوَكَ هـــزّني

شـــبحُ الـــضياعِ مـــساقطاً أعـــضائي؟

هــذا أنــا .. بــابُ الحكايــةِ مُوْصَــدٌ

حــزني أمــامي، والــشقاءُ ورائــي

وعــلى يَــدِي كــأسُ التوقُّــعِ فــارغٌ

هــل ســوف يملــؤه جفــافُ المــاءِ؟!

بــين انتظــارِ المــاءِ والظمــأ - الــذي

يجتــاحُ أزمنتــي - يــشيخ نِــدَائي

مــابين شَــكِّي واليقــينِ مُــشرّدٌ

أجــترُّ خلفــي حَــسرَتي وعَنَــائي

ثــوبي - مــن الــزمنِ الجميــلِ - مُرَقــعٌ

وملامحــي أَزَلِيَّــةُ الأضــواءِ

زيُّ الخرافــةِ لا يليــقُ بقــامتي

فخيوطــهُ عَدَمِيَّــةُ الإيحــاءِ

إنْ لم تكـــنْ مـــلءَ التـــصوُّرِ والـــرؤى

فأقـــلُّ مِـــن أن تـــستحقَّ عزائـــي

بـــينَ البدايـــةِ والنهايـــةِ نقطـــةٌ

هـــي نُقطـــةُ النـــونِ التـــي في بـــائي

حـــاء الحيـــاة زرعتـــه فتفتّقـــتْ

أغـــصانه البيـــضاء في الأحيـــاءِ

كـــي يبـــصرَ الحلـــمُ الـــصباحَ بقلبـــه

ويحـــسُّهُ في زحمـــةِ الأجـــواءِ

إني رســـمتُكَ لوحـــةً لكنهـــا

فقـــدتْ ملامحَهـــا بعـــينِ الرائـــي

طلل

عـــلى طلـــلِ القـــصيدةِ في ضـــلوعي

وقفـــــتُ لكـــــي أفكـــــرَ بـــــالرجوعِ

أرى كـــلَّ الحـــروفِ غـــدتْ حِرابـــاً

فـــما جـــدوى الكتابـــة بالـــدُّموعِ؟!

وهـــــل ســـــأعودُ؟ لا أدري ولكـــــن

ســـأخلعُ -قبـــل أن أنـــسى- ســـطوعي

بـــــــــدائياً أحـــــــــاولُ أن أراني

بجرحـــــي أســـــتدلُّ عـــــلى وقـــــوعي

مزاجـــــيْ خيمـــــةٌ والـــــدّهر بيتـــــي

وظِلِّـــي مُـــتْخَمٌ مـــن أَكْـــلِ جـــوعي

تُـــــرَاوِدُنِي الهَـــــوَاجسُ عَاريـــــاتٍ

فَيثنيهـــا امتنـــاعي عـــن خـــضوعي

أَسُـــوْسُ حرائقـــي لِأَعـــيشَ حُـــرّاً

وأرفـــعُ مـــا تَـــهَاوى مـــن فروعـــي

وأجلـــــسُ كالحقيقـــــةِ مطمئنـــــاً

أهـــشُّ براحتـــيْ قلـــقَ الجُمـــوعِ

ومـــــاذا بعـــــد؟! .. مـــــوالٌ أنيـــقٌ

يُـــــرَاوِحُ في الهُبـــــوطِ وفي القلـــــوعِ

أقمـــــتُ أرائـــكَ المعنـــى بقلبـــي

ورُحْـــــتُ أُضيءُ أحـــــلامَ الـــشموعِ

وحيـــــداً لا يـــــدُ التـــاريخِ ســـيفي

ولا هيّـــــأتُ لـــــلآتي دروعـــــي

حمَلـــتُ دَفـــاترَ "الحَـــلّاج" وَحـــدي

و هَـــــا.. بيـــــديَّ مأســـاةُ اليـــسوعِ

أراني مـــــا خُلِقـــــت لِغـــيرِ هـــــذا

وإنِّـــــي لا أميـــــلُ إلـــــى الخُنُـــــوعِ

إلى غير عريس

أيُّ (تكـــسٍ) يفـــوزُ بي؟ أَيُّ (تكـــسي)؟

بِعـــــتُ قلبـــــي وأمنيـــــاتي وَنَفـــــسي

غُربـــــةٌ في دمـــــي وللجـــــوعِ صـــــوتٌ

في الحنايـــا أضـــاع فِكـــري وَحِـــسّي

باعـــــت الـــــريحُ للمنايـــــا حيـــــاتي

ذاتَ فَقـــدٍ فقـــايضَ الـــبخسُ بَخـــسي

وإِذا بِي كتـــــاجرِ الـــــوهمِ أَمـــــضي

يقتفينـــي «دَبُـــورُ» عُمـــري وَنَحـــسي

أســـــأل الـــــنفس حـــــين آوى إليهـــــا

كيـفَ أصـبحتُ يـا تُـرى؟ كيـفَ أُمـسي؟

كُـــلُّ فَجـــرٍ يلـــوحُ أهفـــو إليـــهِ

أســـأَلُ الـــشمسَ عـــن مغـــاراتِ شمـــسي

ســـاعةُ الحلـــمُ مـــا احتواهـــا كتـــابٌ

والثـــواني تـــذوبُ خمـــساً بِخَمْـــس

مـــذ أَضَـــاعُوا عُقُولَـــهُم ضَـــيَّعُوني

كيـفَ أقـوى عـلى ضـياعي وبُـؤسي؟

عـــشتُ والحـــبُّ خمـــرةٌ في فـــؤادي

وهـــواهمْ صـــلاةُ يـــومي وأَمـــسِي

وإذا هُـــــمْ تمزَّقُـــــوا ونَـــــسَوني

بـــين همـــي وضـــعفِ حـــالي ويـــأسي

ســـافرَتْ بي إلى الـــسرابِ الأَمَـــاني

وجهـةُ الـريح – يـا خُطَـى – عكـسُ حـدْسي

أنـــشدُ النـــورَ والـــصباحاتُ تَنـــأَى

وحـــدهُ الليـــلُ عـــصبةٌ فـــوقَ رَأسي

والـــذئابُ الـــذئابُ حَـــولي تُغَنـــي

كُـــلُّ ذِئـــبٍ يلـــوحُ لي فيـــهِ أُنـــسِي

بـــينَ هَـــذَا وَبَـــينَ هـــذا حَيَـــاتي

كُـــلَّ يَـــومٍ أُزفُّ مِـــن غـــيرِ عُـــرسِ

يحيى علَّاو[1]

الحصانُ يناديكَ، يبكي عليكْ

قربَ ساقيةٍ شُنقَ الماءُ في ثغرِها

حِين قال الحِصَانُ اختفيتْ

أيُّها الفارسُ العربيُّ المضمَّخُ بالشعرِ

أين نفتِّشُ عنا وعنكْ؟!

ومن أيِّ نافذةٍ لهلالٍ جديدٍ

سنرنُو إليكْ؟!

أين عنَّا وعَنْهُ اختفيتْ؟!

هل غفوتَ على ربوةٍ في ربيعِ المَجَازِ البعيدِ البعيدِ

فجُنَّ المَسَاءُ على نَفسِهِ وعَليكْ؟!

(١) يحيى علّاو الإعلامي اليمني الراحل مقدم برنامج فرسان الميدان.

قيلَ سافرتَ

في رحلةٍ

نحوَ فصلٍ جديدٍ

من الكلماتِ الأنيقةِ

في مُدُنِ البَوحِ والأغنياتِ

على كوكبٍ مُتْرَعٍ بالكلامْ.

فَيَا فَارسَ الضوءِ والعُشبِ والوَردِ

في أيِّ زاويةٍ

خضّبَ اللهُ بالحزنِ آكامَهَا

سوف تُلقي عَصَاك؟!

قيلَ: إنكَ تُصغِي لِشلَّالِ إحدَى القرى

وهوَ يَروي حِكايتَهُ،

والطبيعةُ نائمةٌ

تتهجاكَ في الحلمِ

تزهو بفتنتِهَا

إذ تُرتِّلُ للناسِ

بعضَ القصائدِ

من شِعرها العَفَويَّ

الذي كنتَ تجمَعُهُ

مِن شجونِ عَصافيرِها وتُزَاوِرُها

كُلَّ عامٍ بقلبٍ جَديدٍ

وتجَلسُ فوقَ سَريرٍ منَ الغيمِ

في مَهرجانِ الطبيعةِ

تشدُو قصيدةَ عِشقٍ على مَسمعِ الكائنات.

إِنَّها الآنَ نائمةٌ

مَنْ سيوقظُها إن تأخرْتَ؟؟

لا يستطيعُ الحصانُ

فقد حَمَّلَتْهُ المآتمُ – بَعدَكَ – أحزانَها،

واستبدَّ بِهِ الخوفُ

قَيَّدَ عينيهِ

حاصرَهُ بالشكوكِ البليدة،

(إنَّ بهِ رغبةً للبكاءِ)

ولكنَّهُ ما بَكَى،

أنتَ علَّمتَهُ

أن يُغنيَ إنْ طَعنتْهُ المصيبةُ من خلفِهِ،

أن يكونَ قوياً لكي لا ...

فهل متَّ أنت؟!

الطبيعةُ نائمةٌ والحصانْ.

والميادينُ يلتهمُ الحزنُ أطرافَها

ليسَ ثمَّةَ بَعدَكَ من فارسٍ

سوفَ يهدي الهلالَ

إلى رَمَضَان .

عُدْ إلينا لِنَعترِفَ الآنَ

أَنّا خَسِرنَاكَ

أَنّا نُحِبُّكَ

بعدَ

فواتِ

الأوانْ.

وجهة المعنى

رَتِّـــلْ جراحَـــكَ في صـــلاةِ شـــجوني

يـــا كـــافَ مكنـــوني ونـــونَ جنـــوني

واهتِـــفْ لَعلَّـــك تـــستفزُّ عـــواطفي

أو تـــستعيدُ مـــن النـــدى مَـــضموني

فأنـــا المُحـــاصَرُ خلـــفَ أوجـــاعي الّتـــي

قـــد غلَّقـــتْ بـــابَ الـــسعادةِ دُوني

وأنـــا الـــذي مـــا عُـــدتُ أُدركُ مَـــن أنـــا

سَـــكِرتْ مواجيـــدي بـــدمعِ لحُـــوني

وأنـــا الـــذي طـــرَّزتُ ألـــفَ قـــصيدةٍ

بالنّـــارِ ثـــمَ أَمَرْتُهـــا .. أنْ كُـــوني

كُـــوني أحاسيـــسي التـــي أشـــقى بهـــا

كـــوني مـــواويلي وبَـــوح عيـــوني

يـــا وجهـــة المَعنـــى ســـألتُكِ أنْ تعـــيْ

صَـــحْوَ انكـــساراتي وخـــوفَ ظنـــوني

قَـــدَرَ الأســـى المكبـــوتِ بـــينَ جـــوانحي

والآهَ في شِـــــعري ومَـــــاءِ غـــــصُوني

فـــوق الـــذي يحَويـــهِ كُـــلُّ تَـــصَوُّرٍ

قـــد أمطَـــرَتْ بُؤْســـاً عَـــليَّ مُـــزُوني

مـــا ذُقـــتُ مـــن خـــيرِ الحيـــاةِ وَحُلْوِهـــا

وأنـــــا وأحلامـــــي أَسِـــــيْرَ مَنُـــــونِ

المحتويات

"لمن" ٥
تقديم..... ٧
حروبٌ مؤجلة ١٥
جهةُ الجُنُون ١٨
خاصرة الوقت ٢٢
عطرها الباص..... ٢٥
أدنى من الحلم..... ٣١
وإن كُنتَ أنتَ..... ٣٣
فصلٌ محايد..... ٣٦
في كتاب الغيب ٣٨
قاب جُرحَين ٤٠
حين خَبَّأتُها فَضَحتْني..... ٤٢
أولُ معشوقةٍ للمطر..... ٤٦
أهنئُ قلبها ٥٠
كدتُ أكفر بي ٥٣
أتعثَّر بالخوف..... ٥٥
إعراض..... ٥٨

مسيحٌ كاذب..... ٦٠
لم أخرق البحر ٦٢
تصوّف ٦٥
تفاحة يوسف ٦٧
جهاتُ التّيه ٧١
(؟ .) ٧٥
الشوارع تعرفنا ٧٨
حرير الأمنيات ٨٦
أدغال أحجية..... ٩٠
عروسٌ وعشرون عكّازا ٩٢
تَوجُّسْ..... ٩٧
صرخةٌ خضراء ١٠٠
فكرة الباب..... ١٠٢
جفاف الماء..... ١٠٤
طلل ١٠٧
إلى غير عريس ١٠٩
يحيى علَّاو ١١٢
وجهة المعنى ١١٧